الفصل السابع

كوريا

"(حرب شاملة مع الصين) ستكون الحرب الخطأ في الزمن الخطأ، وفي المكان الخطأ ضد العدو الخطأ"

(چنرال أومار برادلي)

لو لم تقع أزمة اليونان ثم أزمة تشيكوسلوفاكيا، لما استطاع «ترومان» أن يحصل على الأموال اللازمة لسياسة الاحتواء فى أوروبا، من الكونجرس الذى كان معارضاً لتلك السياسة. وفى يونية ١٩٥٠، كان ترومان فى حاجة ماسة لأزمة أخرى تمكنه من أن يثبت للشعب الأمريكى أنه والحزب الديمقراطى لم يجنحا إلى التراخى مع الشيوعيين، وتمكنه من مد سياسة الاحتواء إلى آسيا، وتدعيم موقف «شيانج كاى تشيك» فى فورموزا، ومن الاحتفاظ بالقواعد الأمريكية فى اليابان؛ والأهم من ذلك كله تمكنه من إعادة تسليح الولايات المتحدة ودول حلف شمال الأطلنطى. باختصار فإن الصفقة بأكملها، كما تضمنتها الوثيقة رقم ٦٨ لمجلس الأمن القومى الأمريكى كان يمكن أن تتبلور عن طريق أزمة آسيوية.

كانت الاحتمالات موجودة. ففى الصين، كانت جيوش «ماوتسى تونج» منتشرة استعداداً للهجوم على فورموزا حيث تراجعت بقايا قوات «شيانج»؛ كما توقفت الولايات المتحدة عن إمداد «شيانج» بأية مساعدات، مما أثار غضب الجمهوريين.

وكان ترومان يتعرض لضغوط مكثفة لاستئناف شحن الإمدادات إلى الصين الوطنية. وبالإضافة إلى ذلك انضم الرئيس السابق «هربرت هوفر» إلى السناتور «تافت»، فى المطالبة باستخدام أسطول الولايات المتحدة فى المحيط المهادى، للحيلولة دون غزو فورموزا.

وفى اليابان، كانت الولايات المتحدة تستعد لصياغة معاهدة سلام منفردة بينها وبين اليابان، تتضمن اتفاقيات تحصل الولايات المتحدة بمقتضاها على قواعد عسكرية فى اليابان على أساس طويل الأجل. ولكن فى بداية ١٩٥٠ قام الحزب الشيوعى اليابانى بتدبير سلسلة من المظاهرات العنيفة ضد العسكريين الأمريكيين فى طوكيو، وحتى المعتدلين من السياسيين اليابانيين كانوا حذرين من منح القوات الأمريكية الحق فى الحصول على قواعد عسكرية. وهكذا أصبحت القوات الجوية الأمريكية تواجه احتمال فقدان أقرب مطاراتها إلى شرق الاتحاد السوفيتى.

وفى كوريا ساد التوتر؛ إذ لم تحرز الجهود السوفيتية الأمريكية التى بذلت ـ بعد الحرب ـ لتوحيدها أى نجاح. وكانت القوات الأمريكية قد احتلت المنطقة الواقعة جنوب خط العرض الثامن والثلاثين، بينما احتلت القوات الروسية المنطقة الواقعة شمال ذلك الخط. وفى ١٩٤٧ أحالت الولايات المتحدة القضية الكورية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة لحسم المسألة، ولكن روسيا رفضت التعاون. وفى مايو ١٩٤٨ أجريت الانتخابات فى كوريا الجنوبية تحت إشراف الأمم المتحدة، وأصبح «سينجمان رى» رئيساً لجمهورية كوريا الجنوبية. أما فى كوريا الشمالية فقد أقامت روسيا حكومة شيوعية عميلة لها. ثم قامت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بسحب قوات الاحتلال التابعة لهما واستمر كل منهما فى إمداد الجانب الموالى له بالمساعدات العسكرية، إلا أن الإمدادات الروسية كانت على نطاق أوسع.

كان «سينجمان رى» ديكتاتوراً ضيق الأفق، وبالتالى كان مصدر حرج للولايات المتحدة. وفى أبريل ١٩٥٠، قام «أتشيسون» وزير خارجية أمريكا بإبلاغ «رى» صراحة

بضرورة إجراء الانتخابات، فوافق «رى» إلا أن حزبه لم يحصل إلا على ٤٨ مقعداً فقط فى البرلمان، بينما حصلت الأحزاب الأخرى ـ وأغلبها من اليساريين ـ على ١٢٠ مقعداً. وعلى الفور بدأت الجمعية الوطنية الجديدة الحث على توحيد البلاد، حتى بشروط كوريا الشمالية إذ كان «رى» على وشك أن يفقد سيطرته على حكومته.

كما أن موقف «رى» كان ضعيفاً لتوقف الولايات المتحدة عن مساندته رغم إجرائه للانتخابات. وفى ١٢ مايو ١٩٥٠ قال السناتور «توم كونالى» رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ، إنه يخشى أن أمريكا قد تضطر إلى التخلى عن كوريا الجنوبية، وكان يرى أن الشيوعيين سوف يكتسحون كوريا عندما ينتهون من استعداداتهم تماماً، كما أنه من المحتمل «أيضا أن يكتسحوا فورموزا» وقال «كونالى» إنه لا يعتقد أن لكوريا أهمية جسيمة: «لقد ثبت أمامنا أن اليابان وأوكيناوا والفلبين يمثلون سلسلة الدفاع الضرورية لأمريكا» ولقد تم نقل هذا التصريح على نطاق واسع فى الولايات المتحدة وفى اليابان؛ مما أثار الذعر فى كل من مقر قيادة «ماك آرثر» فى طوكيو، وفى سول، عاصمة حكومة «رى». وكان موقف «كونالى» متوافقاً مع سياسة الاحتواء التى اتبعتها إدارة «ترومان» حتى ذلك التاريخ*، وإن كان متعارضاً مع ما تضمنته وثيقة مجلس الأمن القومى الأمريكى رقم ٦٨. ومع بزوغ «الماكارثية» سرعان ما أصبح التخلى عن «رى» «وشيانج» عقبة سياسية من الدرجة الأولى.

وبحلول يونية ١٩٥٠ تضافرت سلسلة من الضرورات الملحة. كان «ترومان» فى حاجة إلى أزمة حتى يمكن ترويج برنامج الوثيقة ٦٨، ولم يكن «شيانج» يستطيع الصمود فى فورموزا، ولا «سينجمان رى» فى كوريا الجنوبية دون التزام الولايات المتحدة بمساعدتهما؛ وكانت القوات الجوية والبحرية الأمريكية فى حاجة إلى

* أدلى أتشيسون وزير الخارجية بملاحظات مماثلة تماماً، فى فبراير ١٩٥٠.

مبررات للاحتفاظ بقواعدهما فى اليابان؛ وكان على الديمقراطيين أن يثبتوا لأنصار «الماكارثية» أنهم يستطيعون الصمود فى وجه الشيوعيين فى آسيا وفى أوروبا أيضا. ولقد تمت مواجهة كل ذلك فى ٢٥ يونية ١٩٥٠، عندما عبرت كوريا الشمالية خط العرض الثامن والثلاثين بقوات كبيرة.

وخلال عدة ساعات من شن الهجوم الشيوعى أصدر «ترومان» تعليماته إلى «ماك آرثر» لإرسال امدادات كوريا الجنوبية، كما أرسل الأسطول الأمريكى السابع إلى مضيق فورموزا، للحيلولة دون احتمال غزو الصين لفورموزا، كما وعد «ترومان» بإرسال مساعدات إضافية الى القوات المعادية للثوار فى الفلبين وفى الهند الصينية.

كانت تلك قرارات سياسية جارفة؛ فكان استخدام الأسطول السابع لحماية فورموزا يمثل وضعا مختلفا تماما وانقلاباً للسياسة الأمريكية تجاه الحرب الأهلية فى الصين. كما أن توجيه «ماك آرثر» لشحن الإمدادات إلى قوات «رى» تضمن ـ فى طيه ـ أن الولايات المتحدة سوف تدافع عن كوريا الجنوبية. وبالإضافة الى ذلك، فإن هذا القرار تضمن احتمال إرسال قوات أمريكية إلى أرض المعركة، لأن قدرة كوريا الجنوبية على الصمود بمفردها، كانت أمراً مشكوكاً فيه بالفعل.

منذ ١٩٤١ اتبعت الولايات المتحدة سياسة عسكرية ترمى إلى تجنب خوض معارك برية على الأراضى الآسيوية. وعندما انسحبت أمريكا من كوريا فى ١٩٤٨، لم تعد هناك أية قوات أمريكية مرابطة فى أى مكان فى قارة آسيا. وكان «ترومان» على وشك أن يغير تلك السياسة، وأن يرسل قوات عسكرية أمريكية إلى الأراضى الآسيوية. لقد أعلنت الوثيقة رقم ٦٨ لمجلس الأمن القومى الأمريكى أنه يجب على الولايات المتحدة أن تكون مستعدة لمواجهة «كل تحدٍ جديد فوراً، وبحسم». ولم يكن من السهل التفوق على الأداء القياسى الذى حققه «ترومان» فى الثمانى وأربعين ساعة التى تلت الغزو الذى قامت به كوريا الشمالية.

في ٢٥ يونية ـ يوم بدء الهجوم ـ شنت الولايات المتحدة هجوماً دبلوماسياً مضاداً واسع النطاق؛ ففى مجلس الأمن، استخدمت نفوذها لإصدار قرار يوصم كوريا الشمالية بالعدوان، مع المطالبة بوقف الأعمال العدائية والانسحاب خلف خط العرض الثامن والثلاثين. ولقد أعطى هذا القرار الجارف للولايات المتحدة ميزة الحصول على موافقة الأمم المتحدة، وتأييدها للعمليات العسكرية فى كوريا. وكانت تلك هى المرة الأولى التى اتخذت فيها منظمة دولية خطوات فعلية ملموسة، بهدف إيقاف ومعاقبة العدوان (فشلت روسيا فى استخدام حق الفيتو فى التصويت ضد القرار، لأنها كانت فى ذلك الوقت قد قاطعت الأمم المتحدة بسبب رفضها إعطاء مقعد «شيانج» فى مجلس الأمن «لماوتسى تونج»)؛ مما أدى إلى رفع الروح المعنوية فى أمريكا. ومع ذلك ـ وبالرغم من تدخل الأمم المتحدة ـ فإن الشحنات الهائلة من المعدات التى استخدمت فى كوريا والأعداد الهائلة من المقاتلين غير الكوريين، كان مصدرها الولايات المتحدة.

لقد حضروا فورا، ففى ظهر يوم ٢٦ يونيه ـ اليوم التالى للهجوم ـ أدلى الرئيس الأمريكى ببيان صدر من البيت الأبيض، أعلن فيه رسمياً سريان مبدأ «ترومان» على المحيط الهادى، حيث تعهد بتدخل الولايات المتحدة عسكرياً ضد أى أعمال توسعية أخرى للحكم الشيوعى فى آسيا. وأعلن أنه بسبيله إلى إرسال مساعدات عسكرية إلى الفرنسيين، الذين كانوا يواجهون قوات «هوتشى مينه» وقوات «فييت مينه» فى الهند الصينية؛ ومساعدات أخرى إلى الفلبين حيث استمر ثوار «الهكس» فى تحدى الحكومة. كما أصدر «ترومان» أوامره إلى الأسطول السابع بمنع أى هجوم على فورموزا، وأعلن إن تحديد مصير فورموزا «يجب أن ينتظر إعادة الأمن إلى منطقة المحيط الهادى، والتوصل إلى تسوية سلمية مع اليابان، أو بحث الأمر بواسطة الأمم المتحدة». وهكذا، أصبحت الولايات المتحدة فى يوم واحد، مشتبكة فى الحرب الأهلية فى الصين، وفى التمرد المسلح فى الفلبين، وفى حرب التحرير الأهلية فى الهند الصينية.

وفى نفس الوقت دخلت الولايات المتحدة الحرب الكورية؛ إذ أعلن «ترومان» أنه «أمر القوات الجوية والبحرية للولايات المتحدة، بأن تحمى وتساند قوات حكومة كوريا» وكان مستشارو «ترومان» فى القوات الجوية قد اقنعوه بأن قاذفات القنابل الأمريكية يمكنها إيقاف العدوان فى كوريا بتدمير خطوط الإمدادات الشيوعية. كان «ترومان» مؤمنا أنه يمكن هزيمة كوريا الشمالية دون اشتراك قوات برية أمريكية، تماما كما كان يتوقع أن يلحق الفرنسيون الهزيمة بقوات «هوتشى مينه»، دون اضطرارهم إلى الاستعانة بجنود أمريكيين.

حاول «ترومان» أن يحد من الطبيعة الجارفة لقراراته عن طريق الاحجام ـ بحذر ـ عن الربط بين روسيا وبين العدوان الكورى. وفى اليوم الذى أصدر فيه «ترومان» إعلانه من البيت الأبيض أرسل مذكرة إلى موسكو، أكد فيها لستالين أن الأهداف الأمريكية محددة، وعبر عن أمله فى مساعدة السوفييت فى إعادة الوضع الراهن إلى ما كان عليه قبل الحرب؛ وكان المعنى الضمنى لتلك المذكرة أن الولايات المتحدة كانت تسعى فقط إلى احتواء ـ وليس غزو ـ كوريا الشمالية.

إن الافتراض الأساسى فى طريقة إدارة «ترومان» للحرب أنه يمكن وقف العدوان الشيوعى فى آسيا بخسائر ضئيلة فى الأرواح؛ وأن الأموال والمعدات الأمريكية تستطيع أن تتولى المهمة فى الهند الصينية والفلبين؛ وأن البحرية الأمريكية سوف تنقذ «شيانج كاى تشيك»؛ وأن قاذفات القنابل الأمريكية سوف تجبر كوريا الشمالية على الإنسحاب. ولكن معظم ذلك كان مجرد امنيات، إعتمدت من ناحية على استراتيجية القوات الجوية الأمريكية، وإساءة تحليلها للدروس المستفادة من العمليات الجوية فى الحرب العالمية الثانية، وإعتمدت من ناحية أخرى على الاتجاه العنصرى الذى كان يؤمن بأن الآسيويين لا يستطيعون الصمود أمام المدافع الغربية؛ ومن ناحية ثالثة، على الشعور السائد بأن الحكومات الشيوعية لم تكن لديها مساندة حقيقية.

وحيث إن الشيوعيين ينقصهم التأييد الشعبى، فإنهم سيتخوفون من إرسال قواتهم للحرب، وإذا ما أشركوه، فإن هذه القوات لن تحارب.

وسرعان ما عرفت إجابة التساؤل الخاص بمن سيحارب، ومن لن يحارب. لقد نجح الكوريون الشماليون فى دفع الكوريين الجنوبيين إلى التقهقر فى شبه الجزيرة بسرعة كبيرة، إذ لم يؤد إلقاء القنابل الأمريكية إلى إبطاء المعتدين. لقد أصيب الكوريون الجنوبيون بالذعر والهلع أثناء تقهقرهم، لدرجة أن «ترومان» وجد نفسه ـ بعد مرور يومين من تكليفه للقوات الجوية ـ فى مواجهة قرار آخر خطير، إذ كان أمامه: إما إسال قوات أمريكية لإنقاذ الموقف، والذى كان معناه قبول دفع ثمن للحرب يفوق كثيراً ما كان فى مخيلته، أو مواجهة فقدان كوريا كلها فى وقت كان يصرخ فيه الجمهوريون «من خسر الصين؟»

فى ٣٠ يونيه أصدر «ترومان» أوامره إلى القوات الأمريكية المرابطة فى اليابان بالاتجاه إلى كوريا، وهكذا أصبحت الولايات المتحدة مشتبكة فى حرب فى الأراضى الآسيوية، كما وعد الرئيس بإرسال قوات أخرى فى القريب العاجل من الولايات المتحدة. وفى محاولة لحصر الحرب والحد من تكاليفها، أكد «ترومان» فى الأمم المتحدة أن هدف الولايات المتحدة كان فقط «إعادة السلام.. والحدود»، وأعلنت الولايات المتحدة إن غرضها كان مجرد إعادة خط التقسيم إلى خط العرض الثامن والثلاثين، وبعبارة أخرى كانت السياسة الأمريكية سياسة احتواء فحسب.

كان ذلك قرارا فرديا من جانب ترومان وحده لأن الرئيس لم يستشر حلفاءه الأوروبيين أو الآسيويين قبل أن يتصرف، وغنى عن الذكر أنه لم يستشر الكونجرس. وحقيقة الأمر أنه كان من الواضح دائما أن استجابته لأية أزمة عالمية ستكون ذات طبيعة فردية. وللمرة الثانية ـ مثلما حدث فى حرب «روزفلت» فى المحيط الأطلنطى فى صيف ١٩٤١ ـ وجدت الولايات المتحدة نفسها فى حالة حرب، دون إعلان الكونجرس للحرب، وفقاً لنص الدستور.

وفى كوريا، وصلت الإمدادات العسكرية الأمريكية فى الوقت المناسب؛ إذ انضمت القوات الأمريكية إلى الكوريين الجنوبيين، واستطاعوا أن يصمدوا أمام العدو خلال شهرى يونيه ويوليه عند رأس جسر «بوسان». وبحلول أغسطس أصبح من الواضح أن «ماك آرثر» لن يجبر على مغادرة كوريا بالقوة، وأن قوات «ماك آرثر» سوف تكون قادرة على تدمير جيش كوريا الشمالية عندما تستطيع اختراق النطاق المحيط بها.

فى واشنطن سرت موجة من التفاؤل، فربما كان من المحتمل تحقيق ما هو أبعد من احتواء الشيوعيين. لقد كان «ماك آرثر» يبغى إعادة وحدة كوريا، وهى فكرة حازت على قبول واستحسان البيت الأبيض؛ ولقد كانت تعنى الصدّ والردّ وليس الاحتواء، وبالتالى كانت تستلزم تغييرا جوهريا فى السياسة، لكن إغراء الفرصة كان قويا لدرجة لا تسمح بعدم إقتناصها. وفى سبتمبر أعلن «ترومان» أن للكوريين الحق فى أن يكونوا «أحراراً ومستقلين ومتحدين»، وأصبح الأمريكيون يتباهون بأن «بيونغ يانغ» ستكون أول عاصمة فى الستار الحديدى يتم تحريرها. وكان ذلك ـ على ما يبدو ـ إشارة إلى أن ثمة عواصم أخرى ستليها.

كانت المخاطر واضحة؛ فاتجه «ترومان» إلى تخفيف حدتها عن طريق زيادة القوة العسكرية الأمريكية، ولذلك وافق الكونجرس على كل المخصصات الدفاعية التى طلبها منذ يونيه. وفى ٩ سبتمبر أعلن «ترومان» عن استمرار الزيادة المتلاحقة فى الجيش، وعن إرساله لأعداد ضخمة من القوات الجديدة إلى أوروبا. وفى نفس الوقت اجتمع «آتشيسون» مع وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا فى فندق «والدورف أستوريا» بمدينة نيويورك، وفى يوم ١٢ سبتمبر ألقى «القنبلة فى اجتماع فندق الوالدورف»، على حد قول أحد المسئولين، بإعلانه إقتراح الولايات المتحدة إنشاء عشر فرق مسلحة المانية، مما لاقى اعتراضات عنيفه وعديدة من الفرنسيين والبريطانيين؛ لكن «اتشسون» أصر على موقفه. ولكى يستسيغ الأوروبيون مسألة

إعادة تسليح الالمان على ذلك النطاق، أرسلت الولايات المتحدة أربع فرق إلى أوروبا، وبعد مرو ثلاثة أشهر قرر «ترومان» تعيين «أيزنهاور» ـ الذى حاز على شعبية مفرطة وثقة لا حدود لها فى أوروبا ـ فى منصب القائد الاعلى لقوات حلف شمال الاطلنطى جميعها.

وهكذا، بدأ العمل بسياسة «ترومان ـ أتشسون» الخارجية؛ بعد حل مشكلة إعتراض فرنسا وبريطانيا، والبدء فى إعادة تسليح الالمان، واستعداد الكونجرس للتصويت بالموافقة على تخصيص موارد مالية للدفاع. وفى ١٥ سبتمبر، نجح «ماك آرثر» فى الالتفاف حول الكوريين الشماليين عن طريق إنزال قوات برمائية فى «إنشون» الواقعة فى اقصى شمال الجزيرة الكوية؛ وفى أقل من اسبوع وصلت قوات «ماك آرثر» إلى العاصمة «سول» وعزلت قوات كوريا الشمالية التى كانت متكتلة حول «بوسان». وفى ٢٧ سبتمبر، أصدرت رئاسة الأركان تعليماتها إلى «ماك آرثر» بتدمير جيش العدو وصرحت له بشن عمليات عسكرية شمال الخط الثامن والثلاثين؛ ومن ثم عبرته القوات الامريكية فى ٧ أكتوبر ـ وهو نفس التاريخ الذى حصلت فيه الولايات المتحدة على موافقة الامم المتحدة (باغلبية ٤٧ صوت ضد ٥ أصوات) على القرار الامريكى بشن العملية.

وجدير بالذكر، أن منح «ماك آرثر» السلطة الواسعة لغزو كوريا الشمالية لم يتأت إلا بعد مناقشة الأمر وبحثه من كافة الجوانب على أعلى مستوى فى الحكومة الامريكية. غير أن «ترومان» أشار ضمنيا ـ فيما بعد ـ إلى أن «ماك آرثر» قد تصرف من تلقاء نفسه، بوصفه الجنرال الموجود بميدان المعركة ـ دون علم الحكومة فى واشنطن ـ وان ماك آرثر هو الذى غيّر الغرض السياسى من الحرب أثناء الصدام؛ وهذا ما صدقه ايضا ملايين الامريكيين. لكن ذلك الادعاء كان مجافيا للحقيقة تماما، وهى أن «ترومان»، بالاتفاق مع وزراتى الخارجية والدفاع والقيادة المشتركة لرؤساء الأركان، هو الذى إتخذ قرار تحرير كوريا الشمالية وقبول المخاطر التى تضمنها مثل ذلك القرار.

وأصدرت الصين سلسلة من الانذارات، كان أشدها هو البيان الذى أرسلته إلى الهند لتتولى نقله إلى الولايات المتحدة، والذى نص على أن الصين لن «تجلس مكتوفة الايدى وتترك الامريكيين حتى يصلوا إلى الحدود الصينية». ولكن حتى ذلك الانذار لم ينل أى إهتمام من أمريكا، مما دفع الصين إلى إصدار بيان رسمى فى ١٠ أكتوبر أعلنت فيه أنه إذا استمر الامريكيون فى التقدم شمالا، فإن الصين سوف تدخل المعركة. أما روسيا، فكانت اكثر حذراً، إلى أن قامت طائرة أمريكية فى ٩ أكتوبر بقصف مطار سوفيتى على بعد عدة أميال فقط من «ڤلاديفوستوك»، عندئذ أرسلت روسيا اعتراضاً شديد اللهجة إلى واشنطون، مما دفع ترومان إلى اتخاذ قرار بالسفر فوراً إلى المحيط الهادى لمقابلة «ماك آرثر»، والتأكد من كبح جماح القوات الجوية. إن محاربة القوات الصينية فى كوريا كانت شيئا مختلفاً تماما عن خوض حرب مع روسيا، كانت الولايات المتحدة على استعداد لبذل محاولة لتحرير «بيونج يانج» ولكنها لم تكن مستعدة لتحرير موسكو.

إن اجتماع «ترومان» مع «ماك آرثر» فى «ويك أيلاند» فى أكتوبر حقق الهدف منه، لأن عمليات القوات الجوية اقتصرت ـ منذ ذلك الحين ـ على شبه الجزيرة الكورية، إلا أن ذلك الاجتماع أزاح الستار عن أمور أكثر أهمية. لقد تركز اهتمام المعلقين ـ أو اقتصر تقريباً ـ على البيان الذى أدلى به «ماك آرثر» قائلا: إن الصينيين لن يجرؤوا على دخول الحرب، بينما ثبت أن الجميع ـ وليس فقط «ماك آرثر» ـ كانوا مخطئين فى تلك النقطة. وكانت نقاط الخلاف الأخرى بين «ترومان» و«ماك آرثر» متعلقة بالأسلوب وليس بالهدف، كان «ماك آرثر» يتناول الأمور بأسلوب درامى زائد عن الحد، كما كان مؤمناً بالعدالة المطلقة؛ ولكن هدفه المباشر كان تحرير كوريا الشمالية، مثله فى ذلك مثل «ترومان». وفى مناسبات عديدة، أشار «ماك آرثر» أنه أراد ـ أيضاً ـ مساعدة «شيانج» على العودة إلى أراضيه، لكن هذا الهدف كان بعيد المدى وغير واقعى، مما دفع «ترومان» لرفضه. كان الرئيس والجنرال متفقين

بشأن المستقبل القريب، ولكنهما اختلفا بشأن الوسيلة؛ فلم يكن «ماك آرثر» واثقا بالمرة من قدرته على توحيد كوريا دون مهاجمة القواعد الصينية عبر «اليالو»، بينما أصر «ترومان» على وضع حدود للمنطقة التى كانت تجرى فيها العمليات العسكرية، لأنه كان أكثر اهتماماً بأوروبا والمخاطر المعرضة لها؛ خاصة وأن برامج إعادة تسليح الألمان والأمريكيين، لم تكن قد دخلت بعد فى طور التنفيذ.

ومع ذلك، فإن حتى هذا الاختلاف لم يكن واضحاً فى «ويك أيلاند» لعدم ظهور الصينيين فى كوريا، بل لم يكن من المتوقع ظهورهم هناك. لقد عاد «ماك آرثر» إلى طوكيو ليتولى توجيه الهجوم الأخير؛ إذ كانت قواته قد وصلت إلى «اليالو» فى «شوسان» وفى ٢٥ أكتوبر، قام متطوعون صينيون بمهاجمة الكوريين الجنوبيين والقوات الأمريكية الموجودة حول خزان «شوشن» حيث وقعت معركة عنيفة، انسحبت بعدها وحدات «ماك آرثر»، وعلى أثر ذلك تراجع الصينيون. لقد نجحوا من خلال تلك المعارك، فى نقل رسالتين: الأولى أنهم لن يسمحوا لقوات «ماك آرثر» بالتقدم نحو «اليالو» دون التحرش بها، والثانية أن اهتمامهم الأساسى كان ما يزال فورموزا، وأنهم كانوا يسعون ـ مثل «ترومان» ـ إلى الحد من القتال فى كوريا، وهى الرسالة التى أيدها قبول بكين الدعوة بالذهاب إلى الأمم المتحدة لمناقشة وضع فورموزا، والحرب الكورية.

لكن «ترومان وأتشيسون»، ،كذلك القائد الطنان الموجود فى ميدان المعركة، لم يكونوا على استعداد لقبول التفاوض من أجل السلام، لقد اسقطوا من اعتبارهم تدخل الصين، واستمروا يحلمون بتحرير كوريا الشمالية ولم تكن لديهم أية نية للتخلى عن الالتزام بالدفاع عن «شيانج». إن التوصل إلى تسوية عن طريق التفاوض، كانت ستؤدى إلى مشاكل، بينما لم يتبق على انتخابات الكونجرس سوى عدة أيام. وإذا جاء زمن السلم، فلن يكون هناك مجال للوثيقة رقم ٦٨ لمجلس الأمن القومى الأمريكى وستعود السياسة الخارجية الأمريكية إلى ما كانت عليه قبل الحرب الكورية: كثير من الوعيد وقليل من القوة.

لذلك، خطط «ماك آرثر» لشن هجوم برى آخر يوم ١٥ نوفمبر، والذى كان يوافق التاريخ المعلن عنه لوصول الوفد الصينى إلى الأمم المتحدة؛ إلا أن الوفد تأخر. وفى ١١ نوفمبر علم «ماك آرثر» بتأجيل وصول الوفد الصينى إلى الأمم المتحدة إلى يوم ٢٤ نوفمبر، فأجل هجومه إلى صباح ٢٤ نوفمبر. وهكذا، فإن عناوين الصحف التى رحبت بوصول الوفد الصينى إلى الأمم المتحدة، أعلنت أن «ماك آرثر» وعد رجاله بأن «يقضوا إجازات أعياد الكريسماس فى الوطن»، بعد أن يكونوا قد توجهوا جميعا إلى «اليالو»، وهكذا اتجه الأمريكيون مرة أخرى إلى الحدود الصينية، ولكن بقوات أضخم.

وثار سخط أوروبا، فاتهمت الحكومة الفرنسية «ماك آرثر» بأنه «شن هجومه فى هذا التوقيت لكى يفسد المفاوضات»، بينما أعلنت إحدى الصحف البريطانية «نيوستسمان» أن «ماك آرثر»: «تصرف دون أى اعتبار لكل ما يمليه العقل والمنطق، وبأسلوب يستفز أكثر الدول حباً للسلام»، وسرعان ما انسحب الوفد الصينى من الأمم المتحدة وعاد إلى بكين.

إن فشل المفاوضات لم يزعج ترومان، ولكن فشل الهجوم أثار غضبه، إذ تقدم «ماك آرثر» فى طريقين، تفصل بينهما مسافة عريضة، وترك المنطقة الواقعة بينهما مفتوحة. كيف أمكنه أن يتصرف بهذا الأسلوب، بعد الطريقة التى تدخل بها الصينيون من قبل، مازال لغزا غامضا بالنسبة للمحللين العسكريين. لقد تدفقت آلاف الفرق الصينية فى تلك الثغرة، وسرعان ما فرّ رجال «ماك آرثر» للنجاة بحياتهم. وفى خلال أسبوعين نجح الصينيون فى إخضاع معظم كوريا الشمالية، وفى عزل وحدات «ماك آرثر» فى ثلاثة تحصينات؛ مما أدى إلى انعكاس الموقف العسكرى تماماً.

أما الأمريكيون، الذين اتفقوا معاً على الاتجاه إلى الكارثة، فقد انقسموا على أنفسهم ـ إلى أبعد الحدود ـ حول كيفية النجاة من تلك الكارثة. وكان رأى «ماك آرثر» الذى قال إنه أصبح فى مواجهة «حرب جديدة تماماً»، أن الحل الوحيد هو مهاجمة الصين ذاتها. ولكن شن حرب على الصين كان من الممكن أن يعنى شن حرب ضد روسيا، وهو ما لم يكن «ترومان» على استعداد لقبوله. وبدلاً من ذلك قررت إدارة «ترومان» العودة إلى سياستها قبل «أتشيسون»، وهى إعادة الوضع إلى ما كان عليه فى كوريا قبل الحرب، مع بناء قوة حلفاء شمال الأطلنطى فى أوروبا. واختفت كل الأحاديث التى كانت تجرى حول تحرير عواصم الستار الحديدى؛ ولن يتكرر أبداً أن تحاول الولايات المتحدة تحرير دولة شيوعية بقوة السلاح.

لقد تم استيعاب الدرس، ولكن مع عدم إقراره تماماً فى بداية الأمر، مما سبب إحباطات شنيعة، وضح مداها يوم ٣٠ نوفمبر، عندما طالب «ترومان» فى مؤتمر صحفى بتعبئة العالم أجمع ضد الشيوعية. ثم أعلن ـ إجابة على أحد الأسئلة ـ أنه لو أن الأمم المتحدة أقرت العمليات العسكرية ضد الصين، لكان من الممكن لـ«ماك آرثر» أن يحصل على تصريح باستخدام القنبلة الذرية دون قيد أو شرط. ثم أضاف «ترومان» قائلاً ـ بطريقة عابرة ـ إن التفكير فى استخدام القنبلة كان وارداً بصفة دائمة، لأنها كانت «أولاً وأخيراً» أحد الأسلحة العسكرية الأمريكية.

لقد اثار ذلك التصريح ذعر «أتلى» رئيس وزراء بريطانيا، فطار إلى واشنطن لتخوفه من أن يلجأ ترومان فعلاً إلى استخدام القنبلة ضد أحد شعوب آسيا للمرة الثالثة بعد خمس سنوات. وعقد «أتلى» سلسلة من الاجتماعات، بذل فيها محاولات متكررة مع الأمريكيين، وكان الحديث قد كثر فى واشنطن (وطوكيو) عن الانسحاب من كوريا كلية، ولكن «أتلى» كان يرى أن تنفيذ ذلك تحت وطأة إحساس الأمريكيين بذل الهزيمة، قد يدفعهم إلى شن حرب شاملة على الصين، وكان يشك أن «ماك

آرثر» كان يعمل على تطور الأمور فى ذلك الخط بالضبط. وفى النهاية، أكد «ترومان» و«أتشيسون» و«برادلى» وجنرال «مارشال»، وزير الدفاع الجديد، على أنهم سيبذلون كل الجهود المتاحة للبقاء فى كوريا، ووعدوا «أتلى» بعدم إلقاء قنابل ذرية طالما إستمرت قدرة «ماك آرثر» على الصمود.

برحيل «أتلى»، انطلق «ترومان» و«أتشيسون» إلى تنفيذ سياستهم بخطى سريعة؛ فنجحا فى تحقيق كثير من الإنجازات لدرجة أنه بنهاية يناير ١٩٥١ لم يعد هناك مجال للشكوى من تجاهل الخطر الشيوعى، باستثناء المتطرفين جداً من أنصار مبدأ «الماكارثية». لقد وضع «ترومان» الأمة على أهبة الاستعداد للحرب الباردة؛ وحصل من الكونجرس على سلطات الطوارئ لكى يعجل باستعدادات الحرب؛ وأعاد الخدمة الاختيارية؛ وطلب ٥٠ مليون دولار لميزانية الدفاع وفقاً لخطط الوثيقة رقم ٦٨ لمجلس الأمن القومى الأمريكى؛ وأرسل فرقتين إضافيتين إلى أوروبا (أصبح المجموع ٦ فرق)، وضاعف عدد الوحدات الجوية إلى خمسة وتسعين وحدة؛ وحصل على قواعد جديدة فى المغرب وليبيا والسعودية؛ ورفع عدد الجيش إلى ٣,٥ ملايين رجل (بزيادة قدرها ٥٠٪)؛ و وقّع معاهدة السلام مع اليابان؛ وضاعف مساعدات الفرنسيين فى فيتنام؛ واستهل عملية إضافة اليونان وتركيا إلى حلف شمال الأطلنطى؛ وبدأ مباحثات مع فرانكو أدت إلى ارسال مساعدات أمريكية إلى إسبانيا الفاشستية مقابل الحصول على قواعد عسكرية هناك.

كانت إنجازات «ترومان» مثيرة جداً، لقد أهدى الولايات المتحدة قنبلة نووية حرارية (مارس ١٩٥١)؛ وأعاد تسليح ألمانيا؛ وواصل جهوده لعقد معاهدة سلام مع اليابان (تم توقيعها فى سبتمبر ١٩٥١)، استبعدت روسيا منها، وأعطت قواعد عسكرية للولايات المتحدة، وسمحت بإعادة تسليح اليابان، ولم تضع أية قيود على التصنيع، وشجعت ازدهار الاقتصاد اليابانى باستبعادها لمطالب بريطانيا وأستراليا والصين

وغيرهم بدفع تعويضات عن خسائر الحرب. لقد نجح «ترومان» فى نشر القواعد الأمريكية فى أنحاء العالم، وبذلك طوّق كلاً من روسيا والصين. ولقد تعلم ـ فى نوفمبر ١٩٥٠ ـ ألاّ يندفع فيما وراء الستار الحديدى والخيرزانى ولكنه عمل على التأكيد على أنه إذا حاول شيوعى أن يطل برأسه على الجانب الحر من الخط، فإنه سيجد من ينتظره هناك ـ عادة أمريكى ـ لإطلاق النار عليه.

كان لابد من دفع الثمن، لقد ورد أبرع إيجاز للموضوع على لسان «والتر ميليس» الذى كان من أنصار الحرب الباردة، ومن أكثر المعجبين «بفورستال»؛ إذ كتب «ميليس» قائلاً: إن إدارة «ترومان» تركت وراءها «مؤسسة عسكرية منتشرة بطريقة هائلة فاقت كل التوقعات التى سبق وإن راودتنا فى زمن السلم... إذ أنشأت صناعة تسلح ضخمة ودائمة... وأصبحت تعتمد بصفة مطلقة على عقود حكومية. لقد أصبحت وزارة الدفاع ـ بلا منازع ـ أكبر مؤسسة صناعية فى العالم، بينما أصبحت المؤسسات الخاصة العظيمة، مثل: «جنرال موتورز»، و «ديوبونت»، ومصانع الطائرات البارزة، قوى احتكارية...». لقد انتجت الإدارة الأمريكية أسلحة نووية حرارية عملاقة، وفصائل من القنابل النووية الصغيرة، وصواريخ موجهة، وقاذفة القنابل «ب ـ ٥٢»، وأنواعاً جديدة من حاملات الطائرات الضخمة والدبابات، وأسلحة ثقيلة أخرى. لقد ساعدت الإدارة الأمريكية على زيادة مخاطر الحرب فى إطار سعيها إلى زيادة خطورة الحرب.

ولقد انزعج «ميليس» لسبب آخر، فبالرغم من كل إنجازات إدارة «ترومان».. «فإنها عجزت عن إدماج هؤلاء الرجال وتلك الأسلحة فى هيكل عملى لسياسة عسكرية، قادرة على مواجهة المشاكل السياسية والعسكرية الجديدة، التى تواجهنا الآن بمنتهى التجهم. كان علينا مواجهتها بقدر كبير من الذهول النابع من البقعة التى يمكن أن تقودنا إليها المسالك الحقيقية للسياسة العسكرية».

كان يمكن لـ«ميليس» أن يضيف أن الذهول امتد إلى السياسة الخارجية، حيث كان من العسير وضع فاصل حاد بين أنشطة العسكريين والدبلوماسيين. لقد قدم

ترومان للولايات المتحدة القوة والسياسة، إلا أنه بدا للكثيرين أنه بالرغم من القوة التى حققها والتبريرات التى ساقها للسياسة، كانت السياسة ذاتها متواضعة أكثر من اللازم. إن سياسة الاحتواء لم تنجح فى إشباع النزعة العاطفية، إذ كانت مبنية على أساس الضجر الدائم من الخطر الشيوعى، وخط الدعاية الذى قسم العالم إلى مناطق حرة وأخرى مستعبدة. كان ملايين الأمريكيين يريدون أن يتقبلوا التزامهم الدينى نحو تحرير العبيد، بينما أراد ملايين آخرون أن يحطموا ـ وليس فقط يحتووا ـ خطر الشيوعيين، على أساس أن السماح لهم بالبقاء كان يعنى استمرار الحرب الباردة إلى ما لا نهاية وبتكلفة متزايدة بصفة مستمرة. وكان هناك من شعروا أن المبرر الوحيد لإقامة دولة عسكرية هو أن يكون ذلك بصفة مؤقتة، أى بمعنى خوض حرب لتحطيم الخطر.

هذا الانتقاد للسياسة الخارجية لـ«ترومان» و«أتشيسون» ـ والذى تمركز حول شخصية «ماك آرثر» البارزة ـ قلب نقد «أتلى» على عقبيه. كان رئيس الوزراء قد حذر الولايات المتحدة أنها لا تستطيع أن تؤدى المهمة كلها بمفردها، ليس إلى الأبد على أية حال؛ إذ قال إنه سيتعين عليها أن تختار بين حرب شاملة فى آسيا وبين التفاوض، ثم حث الأمريكيين على التفاوض؛ بينما أراد «ماك آرثر» الحرب الشاملة. لقد سخر الأحرار الأمريكيون من «ماك آثر» وأتباعه بسبب بساطة وجهات نظرهم؛ لكن لم يمكن تجاهل مناشدة «ماك آثر»، أو الإحباط المتضمن فى برنامج الاحتواء، إذ إن كلاً من المناشدة والإحباط قد تأسس من منطلق رؤية «ترومان» و«أتشيسون» للموقف العالمى.

فإذا كانت الولايات المتحدة جعلت الحرب الباردة هى سياستها الدائمة، مع الالتزام بالتفوق العسكرى الدائم لمساندة الاتجاه إلى العداء المستحكم تجاه الصين وروسيا، ودون اتخاذ أى إجراء لتدمير الدول الشيوعية؛ لكان ذلك يعنى قبول دوام التوتر، ودوام المجازفة، ودوام تأجيل الوعود الاجتماعية والاقتصادية «للعهد الجديد».

وسرعان ما تفجر الاختلاف فى وجهات النظر، فى شكل أعظم الأحداث الانفعالية فى التاريخ الأمريكى. فى يناير وفبراير ١٩٥١، استأنف «ماك آرثر» الهجوم

ورد الصينيين والكوريين الشماليين حتى وصل - فى مارس - إلى الخط الثامن والثلاثين مرة ثانية. ونظرا لتجربتها الأولى، كانت الإدارة الأمريكية مستعدة للتفاوض، لكن «ماك آرثر» أفسد الجهود التى كانت تبذل للتوصل إلى وقف إطلاق النار، وذلك بأن عبر الخط وطالب باستسلام الصينيين غير المشروط؛ فاستشاط «ترومان» غضباً، وقرر استبعاد الجنرال فى أول فرصة.

وجاءته الفرصة بسرعة، ففى ٥ إبريل قام «جوزيف مارتن» ممثل الحزب الجمهورى، بقراءة خطاب أمام مجلس الشيوخ، أرسله «ماك آرثر» دعا فيه إلى وضع سياسة خارجية جديدة؛ إذ أراد أن يعيد وحدة كوريا، وأن يطلق العنان لـ«شيانج» لكى يشن هجوماً برياً، وأن يحارب الشيوعية فى آسيا بدلاً من أوروبا، لقد قال: «هنا فى آسيا.. حيث اختار المتآمرون الشيوعيون أن يقوموا بمناوراتهم للاستيلاء على العالم. هنا نحن نخوض حرب أوروبا بالسلاح، بينما الدبلوماسيين مايزالون هناك، يخوضون المعركة بالكلام».

إلى جانب مشكلة تحدى جندى لسيادة الرئاسة بمحاولة وضع سياسة خارجية، تركز الجدل حول «أوروبا - أولا» أم «آسيا - أولا». إلا أن ذلك السؤال لم يكن السؤال الجذرى، لأن اختيار أرض المعركة كان ببساطة مسألة وسائل، وليس مسألة سياسات. إن «ماك آرثر» لم يكن يتحدى أولوية «أوروبا - أولاً» فقط أو حتى بصفة أساسية، بل كان يتحدى مبدأ الاحتواء. وفى بداية الأمر، ساندته الغالبية العظمى من الشعب، فبعد أن أقاله ترومان، عاد ماك آرثر إلى الولايات المتحدة ليجد فى استقباله ترحيباً كان يمكن أن يثير حقد قيصر. لقد دلت استطلاعات الرأى العام على أن ثلاثة من كل أربعة مواطنين أمريكيين، لم يوافقوا على الطريقة التى كان «ترومان» يقود بها الحرب.

لقد بدا على الشعب الأمريكى أنه ينبذ سياسة الاحتواء، كما وأن ترومان نبذ النصر، فلم يتبق إلا الحل البديل الذى عرضه «أتلى» وهو السلم. ومع ذلك، فحتى «أتلى» كان يريد السلم فى آسيا فقط، بينما رفض الكونجرس سياسة التدخل فى

أوروبا وسياسة العزلة فى آسيا، وهو ما قام ترومان بتوضيحه لـ«أتلى» أكثر من مرة. كان الوضع إذن أن «ترومان» كان فى مأزق، لأنه أنفق معظم المبالغ التى صرح بها الكونجرس للدفاع، على حلف الأطلنطى، فى وقت افترض فيه معظم الشعب الأمريكى أن الجهود كانت موجهة إلى كوريا. ولو أن الحرب الكورية انتهت فجأة، لانتهت معها الوثيقة ٦٨ لمجلس الأمن القومى الأمريكى، وكل البرنامج الذى انبثق عنها.

لذلك، كان من الضرورى الاستمرار فى الحد من حجم الحرب حتى الانتهاء من إعادة التسليح؛ وكان ذلك هو المقصود من رفض العرض السوفيتى فى ٢٣ يونيه بقبول مجرد هدنه عسكرية بحته فى ميدان المعركة؛ فروسيا لم تطالب بالشروط السياسية الثلاثة، التى كانت الصين وكوريا الشمالية تؤكد على أهميتها، وهى: انسحاب القوات الأمريكية من كوريا، وإعادة فورموزا إلى الصين، وتزويد حكومة بكين بمقعد فى الأمم المتحدة. لقد افترض أن روسيا كان بيدها السلطة على إجبار الصين وكوريا الشمالية على قبول الحل الذى كان معادلاً للاستسلام. وبكل تأكيد، كان ستالين مؤمنا بذلك، وبكل تأكيد كان هذا متوافقاً مع الآراء الأمريكية بصدد الطبيعة المونوليثية* للشيوعية. ولم يتيسر لأحد أن يكتشف الحقيقة، لأن الزعماء الأمريكيين ـ طبقاً لما كتبه الصحفى «أ. ف. ستون» ـ اعتبروا أن احتمال مباحثات السلام «نوع من المؤامرات الشيطانية ضد إعادة التسليح». وعلى حد قول «توماس ديوى» من زعماء الحزب الجمهورى: «كل مرة يتخذ فيها السوفييت خطوة نحو السلام، أصاب بالرعب... كل مرة يبتسم فيها ستالين، خذ حذرك». وفى خلال أسبوع، كان وزير الدفاع ورئيس القيادة المشتركة، وقائد العمليات البحرية، و «أفريل هاريمان» المسئول عن التعبئة بوزارة الدفاع وجنرال «إيزنهاور» قد أجمعوا على التزام الحذر تجاه أى فتور فى جهود التعبئة. وفى ٤ يوليه، قال «ترومان» إنه حتى إذا انتهت الحرب الكورية. «فنحن فى مواجهة فترة طويلة من التوتر العالمى والخطر الدولى الشديد» فانضم «ماك آرثر» إلى المجموعة.

* «المونوليثية ـ Monolithic »: يدل على الوحدة المتراصة والتناغم الكلى (المترجم)

ومع ذلك، لم يكن من الممكن تجاهل ضغوط الأمم المتحدة ودول حلف الأطلنطى من أجل التفاوض، وفى ١٠ يوليه ١٩٥١ بدأت مباحثات السلام، بدون وقف إطلاق النار؛ إلا أنها انهارت فى ١٢ يوليو، وتكرر عقدها وانهيارها خلال هذا العام. وبدأت خطوط الحدود تستقر عند خط ثمانية وثلاثين، فى نفس الوقت الذى انخفضت فيه الخسائر الأمريكية إلى معدلات أسبوعية «مقبولة». واستمرت الحرب، وإعادة التسليح.

لقد فاز «ترومان». وفى الجلسات التى عقدت فى مجلس الشيوخ (لفحص السياسة الخارجية، وطرد «ماك آرثر» ساق شهود الإدارة الأمريكية حجة مقنعة، وهى أن الولايات المتحدة لم تكن قادرة على تدمير روسيا أو الصين، أو السماح لهما بالانتشار؛ فتأرجح الرأى العام فى اتجاه «ترومان». وظلت الولايات المتحدة ملتزمة بسياسة الاحتواء واستمرار الحرب الباردة، ورفض الحل البديل الذى عرضه «ماك آرثر» وهوتحقيق النصر، والحل البديل الذى عرضه «أتلى»، وهو أحلال السلام فى آسيا.

إن الحرب الباردة سوف تدور بطريقة «ترومان»، وسوف تقع بعض المصادمات فى محيط الدائرة، ولكن بعيداً عن القوى الرئيسية. سوف تنشر الولايات المتحدة مراكز نفوذها حول إمبراطورية الشيوعيين، وسوف يصبح المجمع العسكرى الصناعى فى الولايات المتحدة قوة اجتماعية واقتصادية رئيسية. ولن تعقد الولايات المتحدة أية تسويات، أو حلول وسط مع روسيا أو الصين، كما أنها لن تستشر حلفائها بصدد القرارات الرئيسية. إن الولايات المتحدة سوف تبنى قوة عسكرية جبارة، لم يعرف العالم مثيلاً لها من قبل، وإذا اقتضى الأمر، فإنها سوف تدافع عن قلاع الحرية بمفردها.

عندما تولى «ترومان» الرئاسة، قاد أمة متعطشة إلى العودة إلى العلاقات المدنية العسكرية التقليدية، وإلى سياسة عدم التورط التى كانت الصبغة التاريخية للسياسة الخارجية الامريكية. وعندما غادر البيت الأبيض، كانت تركته هى الوجود الأمريكى

فى كل قارة فى العالم، وصناعة تسليح هائلة الانتشار، ومع ذلك فقد نجح «ترومان» فى إلقاء الذعر فى قلب الشعب الأمريكى إلى درجة أن النقاد الوحيدين الذين حازوا على أى اهتمام فى وسائل الاعلام، كانوا هؤلاء الذين اعتقدوا أن «ترومان» لم يكن حازماً بالقدر الكافى فى مقاومة الشيوعيين... لقد انتصر ترومان رغم كل المشاكل التى واجهته.